يستجلب مفهوم التواصل الخوض في مفهوم الجماعة ، في ارتباطها بالديناميكا (Dynamique) ، وأعمال عالم النفس الألماني لوين كورت (Lewin Kurt) ، حيث يقابلها هذا المذهب الفلسفي بالآلية ، وبربط الجماعة بالفضاء المدرسي (المجتمع المصغر) في اجتماع على غرض مشترك ، تصير فيه دينامية الجماعة متصلة بالتفاعل الاجتماعي(Interaction Sociale) ؛ والحديث عن الجماعة يجر إلى خصائصها التي تطبع كيانها :

- التفاعل و التبعية المتبادلة .
- الجشطالتية .
- النسقية .
- التوازن المؤقت .

من أجل ذلك ، لا يمكن تصور استخدام دينامية الجماعة في مجال دون آخر ، فبناء الشخصية الذي يقوم على هذه الدينامية و البيداغوجية يمتد من حقل إلى جقل ، مما يبرر مرجعيتها في علوم التربية عبر وسائلها ، التي تظهر فيها المدرسة بكل خلفياتها العلمية (علم الاجتماع ، علم النفس ، علم النفس الاجتماعي ، ...) ، أساسا في هذه الوسائل . تشكل الأبعاد السيكولوجية و السوسيولوجية القاعدة التي ترتد إليها التحليلات في العلاقات الاجتماعية و التفاعلات ؛ تحضر هنا جماعة المدرسة ، نموذجا ، للدينامية ، كون أن الميزة النظامية تضمن الوجود الإلزامي (الراشد ، الطفل ...) في مقاربات متعددة (النسقية حاضرة بقوة) يقوم عليها التواصل التربوي و التواصل التربوي مظهر من مظاهر التفاعل ، و الذي يحدث بين المعلم و المتعلم و المعرفة في تبادل (علم السيبرنيطيقا يشغل أهمية و منعطفا في هذا التفاعل ...) ، هذا الذي يعني أن للتواصل شرطين :

- مرسل و مستقبل .
- الفهم .

يعطينا شرح شرط " الفهم " تحليلا في المعيقات (الفيزيقية ، السيكولوجية ، السوسيولوجية ، السوسيوثقافية ...) ، فاستمرار فعل التواصل (بكل رهاناته التي ذكرت في الخلفية الفلسفية) مرتهن بتخط لكل هذه المعيقات ؛ يتقاسم أطراف التفاعل التحدي في تجاوز كل ما يمنع من تحقيق التفاعلات داخل الصف ، ينتج غياب التواصل آثارا تحتم الدراسة السريرية في الوسط المدرسي ، كونها نتائج مرضية تمس :

- الدافعية .
- الثقة .
- الخوف .
- العنف .
- الخجل .
- التسرب .
- الهدر.

وفي سياق تقاسم الأدوار ، تطرح الكاتبة المغربية " كريمة حليم " في مقال لها بمجلة علوم التربية ، وسمته بـــ" دينامية الجماعة و تطبيقاتها التربوية " تقاسمات على مستويات عدة (المعايير ، الأدوار ، العلاقة التربوية ...) :

- على مستوى المعايير ؛ تشي القاعدة النظامية في المدرسة بالامتثال و الانتظام ، يستتر في الاتفاق المشترك بين أطراف الجماعة على إلزامية هذا المستوى ، يفسح هذا الاتفاق مجال التواصل ، يتم عبره ولوج العلاقات البيداغوجية ، التي أختلف فيها عن الكاتبة كريمة حليم في تحديدها لهذه العلاقات ، ذلك أن هذا التحديد يزيد من المعيقات السيكوسوسيولوجية ؛ مما يعني أن النظر في المعايير يستوجب المرونة .
  تبقى المعايير الإطار المرجعي المشترك الذي يؤطر التواصل بين أفراد الجماعة و يمكنهم من تقييم الأنماط السلوكية ، لكن لا يمكن إغفال الأبعاد المعرفية ، فهي تؤطر

بدورها التواصل الحاصل بين أفراد الجماعة ، ذلك أن الصدى و التمثلات تعمل عملا جوهريا في هذا التأطير ، و في تحديث(Actualisation) العلاقات الاجتماعية في الصف المدرسي .

- على مستوى الأدوار ؛ في هذا المستوى يتجلى الجانب الدينامي ، ليس لمكانة كل عضو داخل الجماعة ، فحسب ، ولكن في إلزامية تبادل الأدوار ، ذلك لأن الطبيعة الاجتماعية لا تعرف الثبات ، و إذا كانت التربية التقليدية قد حاصرت العقل ، فإن المعرفة المعاصرة قد كسرت و تجاوزت هذا الحصار ؛ وهذا التبادل تحكمه المواقف و الوضعيات الفجائية ، ومدعاة التربية المعاصرة في المشروع المدرسي تجعل من هذا الأخير فرصة للتواصل بشكل عملي (التعاون ، المشاركة ، احترام الرأي ، الموضوعية ، النقد الذاتي ، التعلم الذاتي ...) .
- على مستوى العلاقة التربوية ؛ لم تعد العلاقة التربوية تنحصر في المعلم و المتعلم ، فأساس التواضل يقتضي أن تنضاف الوضعيات التي هي كذلك منتهى التعلمات ، و في التحليل الذي يلحق العملية التعليمية التعلمية نجد أن مجموع العلاقات الاجتماعية التي تتكون بين المربي و الأفراد الذين يربيهم للسعي نحو تحقيق الأهداف التربوية داخل بنية مؤسسية معينة جوهرها الخصائص المعرفية و العاطفية . ينجر من هذا التحليل بروز جملة من العلاقات :

(أ) علاقة المعلم بالمتعلم .

(ب) علاقة المتعلم بالمتعلم .

(ت) علاقة المعلم بالوضعية .

(ث) علاقة المتعلم بالوضعية .

إن تفكيك كلمة " علاقة " يحيلنا إلى مقال المؤلف " حسن مستر " ، والذي وسمه بـ" نحو نظرة نسقية للتواصل " ، متبنيا التحول من الدراسة الآلية لفعل الاتصال إلى الدراسات الانتربولوجية التي قام الأب الروحي لمدرسة بالو آلطو ، جريجوري باتيسون (Gregory Bateson) ،

وهو عالم انتربولوجيا و اجتماع و لغة ، تبنى المنهج النسقي ؛ من الدراسة التي أساسها النظام العلائقي المتسم بالقصور في التعبير عن المشاعر الشخصية ، رأى باتيسون تغييب التعبير داخل العلاقة ، يجليه نموذج الأم التي تدبر حين يقبل عليها ولدها ، و تقبل حين يدبر ، مما يدفعه إلى الفتور العلائقي ، و الذي يؤدي إلى الإجبار المزدوج(Double Contrainte) ؛ حيث النتيجة واحدة ، الإحباط المؤكد ، فإما عدم الاستجابة تفاديا للإحباط أو الاستجابة التي تنتج الخيبة و الإحباط كذلك .

هذا المدخل الجوهري ، حسب حسن مستر ، ييسر فهم الفكر النسقي الذي طورته مدرسة بالو آلطو ، حيث يصير التواصل أساس أي خلل يقوم في النسق الاجتماعي (المدرسي في هذا المقام) ، وهذا بعيدا عن التركيز على المنهج الفرويدي الذي يراعي الجذور التاريخية للخلل ، إذ دراسة النظام القائم تركز على النسق في حالته الحاضرة .؛ تحضر هنا العلاقة العلية المتبادلة (Intercausalité) ، غير النهائية ، والتي يسقط فيها التصور الخطي . لا يكتفي المنهج النسقي بالإجبار المزدوج ، و يستعير من الرياضيات الحديثة مفهوم " العلاقة " ، ومن السبرنيطيقا مفهوم " الارتداد " ، ومن نظرية الدينامية الحرارية مفهوم " الاتزان " (Homéostasie) ؛ مفهوم العلاقة يختفي فيه المكان ، باعتبارأن تحليل التواصل تنجلي فيه مميزات كل فرد ، داخل العلاقة ، ولا يمكن أن تكون هذه المميزات ثابتة خارج سياقها ، فمهما كان موضوع التواصل ومحتواه فإنه تعبير عن رؤية الفرد لنفسه " هكذا أرى نفسي " ، وحين لا يحصل التوافق حول الرؤى (نظرتي لنفسي ، نظرة الآخر لي ، نظرتي إلى نظرة الآخر لي ...) يتدخل مفهوم العلاقة بناء على الحوار غير الواعي ، عموما ، في أخذ و رد ، يوصل إلى التعاقد .

التواصل الذي يربط طرفي العملية التعليمية / التعليمة (الراشد و الطفل) يجرنا إلى البيداغوجيا ، و البيداغوجيا في دلالتها اللغوية الشائعة تتشكل من الطفل و التوجيه (سبقت الإشارة إلى تفكيك البيداغوجيا في مقياس مدخل إلى علوم التربية) ، و التواصل البيداغوجي هو ربط

العلاقات و اختلاق تفاعلات حرة و ديمقراطية بين الأستاذ و المتعلم ، من أجل تيسير عملية التعلم و تمكين المتعلم من المشاركة الفعلية في بناء معارفه و توظيف موارده الوجدانية و المعرفية كي يتعرف على المشكلة المطروحة و يحدد أسبابها داخل الوضعية التكوينية (**اجبارة ، 2009**) ؛ يشي تحليل المشاركة الفعلية بالحوار الذي يعد أساس التواصل ، وإذا كان حمد الله اجبارة قد حصر التواصل في اللغة ، فإن الرؤية المعاصرة تتجاوز اللغة اللفظية (عد إلى التواصل اللفظي و غير اللفظي) ، بمعنى أن اللغة الصامتة تعد ، كذلك ، رافدا موازيا ، للغة اللفظ ؛ وقد تكون المنفذ الأقوى في الفعل التواصلي البيداغوجي (عد إلى إداورد تي . هول ، في كتابة اللغة الصامتة ، لبيان التأثيرات الثقافية في الفرد وبطريقة خفية ، ودون وعي) ، هذا الذي جعل التحول من المعرفة إلى التواصل بالوضعيات أمرا بيداغوجيا حتميا ، ذلك أن التمثلات التي شكلها (الزمن ، الثقافة ، المكان ...) ، وليس على مستوى المتعلم فقط ، هي التحدي البيداغوجي الأكبر في بيداغوجيا التعاقد .

إن التصورات الحديثة للبيداغوجيا تجعلها منهجية للتطبيقات التربوية أو الممارسات التي يقوم بها الأستاذ في الحقل التربوي و المتمثلة في الوضعية التكوينية التي تترجم أساسأ في العلاقة الديناميكية بين الأستاذ و المتعلم ، المتأمل في هذا التصور و المقارن له بتعريفات أخر ، كالتعريف الوارد في مقال " مجلة الدراسات و البحوث الاجتماعية" للأستاذ مختار بروال ، يخلص إلى تحديث هذه العلاقة الديناميكية بالوضعية التكوينية بدل الوضعية التدريسية ، لأسباب تظهر في مكانة التواصل في العلوم الاجتماعية ، فلا يمكن فصل التعلم الذاتي في العملية التعليمية / التعلمية ، هذه التي تتطلب تجاوز اللغة اللفظية لبسط التمثلات ، من طرفي فعل التواصل (المكون / المتكون) ، على سطح هذه العملية عبرالوضعية التي يسميها حمدالله اجبارة وضعية المجابهة التكوينة (سيأتي تفصيلها عند الحديث بالوضعيات اليداكتيكية) ؛ تجاوزا للمعيقات التي قد تصادف التواصل البيداغوجي ، والتي حددها المقال السابق في :

- عوائق ذات أصل سيكو/ جينائي (L’ obsacle Psychologique) .

- عوائق ذات أصل ديداكتيكي (L’ obstacle didactique) .
- عوائق ذات أصل ابستيمولوجي (L’ obstacle épistémologique) .

يمكن اختصار هذه العوائق في شكل واحد ، يتفق عليه بالمثلث البيداغوجي (Triangle pédagogique) ، تتقاطع فيه العلاقات بين الأستاذ و المتعلم و الوضعية (تحديثا يحل محل المعرفة) ، مما يعني أن التقاطع البيداغوجي و الديداكتيكي تبرره مادة الوضعية في تطورها التاريخي ومنهجية تدريسها و المرحلة العمرية للمتعلم ، حيث علاقة الأستاذ بالمتعلم بيداغوجية ، وعلاقة الأستاذ و المتعلم بمادة الوضعية ديداكتيكية .

يشير التواصل البيداغوجي إلى كل أشكال وسيرورات و مظاهر العلاقة التواصلية بين مدرس وتلاميذ أو بينهم ، إنه يتضمن نمط الإرسال اللفظي و غير اللفظي ، كما يتضمن الوسائل التواصلية و المجال و الزمان ، وهو يهدف إلى تبادل أو تبليغ ونقل الخبرات و التجارب و المواقف ، ويهدف إلى التأثير في سلوك المتلقي (**الفارابي و آخرون ، 1994**) ؛ وبتحليل مفاصل التواصل البيداغوجي مع استحضار عناصر العملية الاتصالية التواصلية نصل إلى :

- المرسل و المرسل إليه ؛ وهما طرفان يمثلان في التواصل البيداغوجي المدرس و التلميذ أو التلميذ و التلميذ ، كما يمثلان المدرس و الوضعية ، وكذلك التلميذ و الوضعية ، باعتبار أن التواصل لا يربط بين شخصيتين فقط .
- الرسالة ، ولها شكل لفظي ، و شكل غير لفظي ، وهنا لا يعتمد المرسل (المدرس) اللغة المنطوقة و المكتوبة وسيلة متفردة ، وإنما يتعداها إلى اللغة غير اللفظية باستعمال التواصل الحسي .
- التغذية الراجعة ؛ و تظهر في التأثير و التبادل في الخبرات ، و هذا التأثير شأنه شأن طرفي التواصل ،حيث يتعدى العلاقة الإنسية (المدرس و التلميذ ، التلميذ و التلميذ) إلى المدرس و الوضعية ، وأيضا التلميذ و الوضعية .

- التأثير؛ و التأثير في السلوك يتجاوز المدرس في كونه سيدا في العملية التعليمية / التعلمية (العملية التواصلية) ، كون أن أقطاب المثلث البداغوجي تتأثر ببعضها البعض (الحاضرة الموالية تشرح هذا التأثير) .
- الالتباس الموجود في الوضعية يمثل عنصرالتشويش في عناصر التواصل .

يخفي بعد التواصل البيداغوجي رهانات ، تم الإشارة إليها دون تحليل ، وهي رهانات :

- الرهان الإعلامي أو رهان نقل المعلومات ؛ ويسمى أيضا بالوظيفة المرجعية عند جاكوبسون ، وهنا الإشارة إلى التلازم بين التواصل و نقل المعلومات ، مما يعني أن التشارك في الوظيفة قد ينحرف ، فالتواصل البيداغوجي يختلف عن التواصل غير البيداغوجي (الصحافة ، السياسة ...) ، وهو بذلك لا ينساق خلف الإغراء و التلاعب بأفكار الطرف الثاني في العملية .
- رهان التموقع ؛ باعتبار أن العلاقات الإنسانية هي عملية إخراج مسرحي للذات ، ويتقاطع هذا مع الرهان السابق ، ذلك أن التلاعب و الإغراء يتوسل به في الظهور بصورة الذات المتميزة ، و الانتباه هنا ينشد إلى الفعل البيداغوجي الذي قد ينحرف إلى التموقع ، أي تموقع المدرس على حساب المتعلم ، في تناف مطلق مع مفهوم وبعد التواصل البيداغوجي .
- رهان التأثير؛ وهو إقناع الآخر ، دون إغراء وتمويه ، و أساس الفعل التواصلي البيداغوجي الحجاج ، و الحجاج موجود في أغلب أشكال التواصل اللساني ، سواء بالحوار العادي ، أو بالمطارحة الفكرية ، لأن الغاية من التواصل إقناع طرف لطرف ، و التواصل البيداغوجي يقتضي الإقناع الذي يتجاوز الأشكال الأخر من التواصل ، فالحقل التربوي يتفرد عن الحقول الإعلامية والسياسية ...في كون أن البعد التربوي حجر أساس كل علاقة بيداغوجية .
- الرهان العلائقي ؛ وهو أقوى الرهانات ، نظرا للطابع الذي يميز التواصل ، من حيث التعقيد ، فهي ، أي العلاقة ، قلما تكون تلقائية و بسيطة ، فالصراع يبعد الاستقرار على

مستوى السلوك و الفكر والعاطفة ، و إن كانت وضعية المجابهة تتجاوز عبارات من قبيل أرى ، ورأيك .

- الرهان المعياري ؛ وهو رهان أخلاقي بحت ، يرمي إلى الاختلاف و الحوارو التسامح و الديمقراطية (المحاضرة الموالية تبين الرهانات الأخلاقية في التواصل البيداغوجي) . (للاستزادة أكثر عد إلى مقال عزالدين الخطابي ، الفلسفة والتواصل – الرهان و الممكن -) .